

قصص الحيوانات
في القرآن الكريم

غراب هابيل وقابيل

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
عبد الشافي سيد
رسوم : عصام حسن
إشراف الأستاذ / حمدي مصطفى



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

أَنَا غُرَابُ ابْنَى آدَمَ ..
أَوْ غُرَابُ هَائِيلَ وَقَائِيلَ ..
أَوِ الْغُرَابُ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، لِيُعَلِّمَ قَائِيلَ كَيْفَ
يُدْفِنُ جَسَدَ أَخِيهِ هَائِيلَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ ..
وَلَكِنْ مَا هِيَ قِصَّتِي ..؟ دَعُونِي أَحْكُمُهَا لَكُمْ مِنْ
الْبَدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ ..
نَشَأْتُ فِي زَمَنِ أَبِي الْبَشَرِ « آدَمَ » عَلَيْهِ السَّلَامُ ..
كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ هُبُوطِ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنَ الْجَنَّةِ
إِلَى الْأَرْضِ ، وَتَوْبَتَهُمَا إِلَى اللَّهِ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُمَا
مِنْ مَعْصِيَةٍ ..
بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ آدَمُ وَحَوَّاءُ يَعْمُرَانِ الْأَرْضَ ،
وَيَنْجَبَانِ الْأَطْفَالَ ..
كَانَتْ حَوَّاءُ تُنْجِبُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ثَوْنًا .. وَلَدَا وَبَنَاتًا ..



فِي أَحَدِ الْأَغْوَامِ وَضَعَتْ قَايِيلَ وَأُحْتَهُ إِقْلِيمَا .. وَفِي
عَامٍ آخَرَ وَضَعَتْ هَابِيلَ وَأُحْتَهُ لِيُوْثَا ..
كَانَ هَابِيلُ مِنْذُ صِغَرِهِ طَيِّبًا ، مُطِيعًا لِوَالِدَيْهِ ، وَكَانَ
قَايِيلُ عَلَى عَكْسِهِ يَعْصِي وَالِدَيْهِ بِاسْتِمْرَارٍ ، وَيُكْثِرُ مِنَ
الشَّجَارِ مَعَ هَابِيلِ ..

وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ ، كَبِرَ خِلَالَهَا الْأَخَوَانِ قَايِيلُ
وَهَابِيلُ ، وَكَبِرَتْ مَعَهُمَا أُحْتَاهُمَا إِقْلِيمَا وَلِيُوْثَا .. وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمَا إِلَى سِنِّ الزَّوْاجِ .. وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ تَقْضِي بِأَنَّ كُلَّ وَلَدٍ مِنْ بَطْنٍ يَتَزَوَّجُ أُحْتَهُ مِنَ
الْبَطْنِ الْآخَرِ .. أَيْ يَتَزَوَّجُ قَايِيلُ مِنْ لِيُوْثَا أُحْتِ هَابِيلِ ،
وَبِالْعَكْسِ يَتَزَوَّجُ هَابِيلُ مِنْ إِقْلِيمَا أُحْتِ قَايِيلِ ..



وَلِأَنَّ هَابِيلَ كَانَ مُطِيعًا لِوَالِدَيْهِ ، فَلَمْ يُعَارِضْ فِي
الْأَمْرِ .. أَمَّا قَابِيلُ فَقَدْ رَفَضَ الزَّوْاجَ مِنْ لِيُوثَا ، وَقَالَ بِأَنَّهُ
يَتَوَى الزَّوْاجَ مِنْ إِقْلِيمَا أُخْتِهِ ..

اِحْتَلَفَ الْأَخَوَانِ ، وَوَقَعَ الشَّجَارُ بَيْنَهُمَا .. وَكَانَ
قَابِيلُ هُوَ الْبَادِي بِالْمُشَاجَرَةِ ، لَكِنَّ هَابِيلَ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ..
وَتَدَخَّلَ الْأَبُ آدَمُ لِيَحْلُ الْمَشْكِلَةَ .. أَفْهَمَ ابْنَهُ قَابِيلَ أَنَّ
أُخْتَهُ لَا يُحِلُّ لَهُ الزَّوْاجَ مِنْهَا ..

وَوَضَعَ قَابِيلُ مُصْرًا عَلَى مَوْقِفِهِ ، فَطَلَبَ آدَمُ مِنْ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْ وَلَدَيْهِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِتَقْدِيمِ قُرْبَانٍ
لَهُ .. فَمَنْ تَقَبَّلَ اللَّهُ قُرْبَانَهُ كَانَ عَلَى الْحَقِّ ..



سَارَعَ هَايِيلُ بِأَخْضَارِ أُسْمَنِ خِرَافِهِ ، وَوَضَعَهُ عَلَى
الْجَبَلِ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللَّهِ ، يَنْمُو أَخْضَرَ قَايِيلُ حُرْمَةً مِنْ
سَنَابِلِ الْحِنْطَةِ الْخَضِرَاءِ ، وَوَضَعَهَا قَرِيبًا مِنْ حُرُوفِ
أَخِيهِ ..

وَوَقَفَ هَايِيلُ وَقَايِيلُ يَنْتَظِرَانِ بَعِيدًا ، لِيرِيَا مَنْ يَتَقَبَّلُ
اللَّهُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ ..

وَبَعْدَ قَلِيلٍ هَبَطَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ ، وَحَرَقَتْ قُرْبَانَ
هَائِيلَ ، دَلِيلًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ مِنْهُ قُرْبَانَهُ ، يَنْمُو
بَقِيَّ قُرْبَانِ قَايِيلَ كَمَا هُوَ لَمْ يُمَسَّ ، دَلِيلًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ
يَتَقَبَّلْهُ مِنْهُ ..

فَرِحَ هَايِيلُ وَشَكَرَ اللَّهَ ، وَغَضِبَ قَايِيلُ فَرَاخَ يُهْدِدُ
أَحَاهُ بِالْقَتْلِ ..



رَدَّ هَابِيلُ عَلَى تَهْدِيدِ أَخِيهِ لَهُ بِالْقَتْلِ بِقَوْلِهِ :
﴿ لَنْ بَسَطْتُ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ
إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ .. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ..
وَحَذَّرَ هَابِيلُ أَخَاهُ قَابِيلَ مِنْ نَتِيجَةِ تَهْدِيدِهِ لَهُ ..
وَمَرَّتْ أَيَّامٌ يَعْلَمُ عَدَدَهَا اللَّهُ وَحْدَهُ .. ثُمَّ وَقَعَتْ أَوَّلُ
جَرِيمَةٍ قَتَلَ عَلَى الْأَرْضِ ..
قَتَلَ قَابِيلُ أَخَاهُ هَابِيلَ .. ثُمَّ وَقَفَ يَنْظُرُ إِلَى جَسَدِهِ
حَائِرًا .. مَاذَا يَفْعَلُ فِي جَسَدِ أَخِيهِ .. ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى كَتِفِهِ
وَأَخَذَ يَجْرِي بِهِ هُنَا وَهُنَاكَ فِي حَيْرَةٍ ..



وَشَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ أَنْ يَبْعَثَنِي أَنَا الْغُرَابُ ، لِأَعْلَمَ ابْنَ
آدَمَ كَيْفَ يَدْفِنُ جَسَدَ أَخِيهِ ..
كَانَ هُنَاكَ غُرَابٌ مَيِّتٌ ، فَحَمَلْتُهُ بِمِنْقَارِي .. ثُمَّ
وَضَعْتُهُ عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَ قَائِلٍ ، وَبَدَأْتُ أَحْفُرُ الْأَرْضَ
بِمِنْقَارِي ، حَتَّى حَفَرْتُ حُفْرَةً تَسَعُ الْغُرَابَ الْمَيِّتَ ، ثُمَّ
أَرْقَدْتُ فِيهَا الْغُرَابَ ، وَأَهْلْتُ عَلَيْهِ التُّرَابَ ، وَسَوَّيْتُ
التُّرَابَ .. ثُمَّ طَرْتُ بَعِيدًا ، فَرَأَيْتُ قَائِلَ يَضَعُ جَسَدَ
أَخِيهِ عَلَى الْأَرْضِ .. ثُمَّ أَخَذَ يَحْفُرُ حُفْرَةً كَبِيرَةً ، فَلَمَّا
انْتَهَى مِنَ الْحَفْرِ أَرْقَدَ أَخَاهُ فِي الْحُفْرَةِ ، وَأَهَالَ عَلَيْهِ
التُّرَابَ ، ثَمَامًا مِثْلَمَا فَعَلْتُ أَنَا مَعَ أَخِي الْغُرَابِ ..
وَهَكَذَا كُنْتُ الْغُرَابَ الَّذِي عَلَّمَ أَبْنَاءَ آدَمَ كَيْفَ يَدْفِنُونَ
مَوْتَاهُمْ .



وَقَدْ حَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ فِي سُورَةِ
الْمَائِدَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَصْبَحَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ، لِيُرِيَهُ
كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ، قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ، فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي ، فَأَصْبَحَ مِنَ
النَّادِمِينَ ..

(الْآيَتَانِ ٣٠ ، ٣١ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ)

